بعز خذ منه فولا حجا فيما يحصل به شرا. ذلك وقوله توبة نصوحا اي توبة نصوحا يحصل به
شرا. ذلك والفوز به بالتوبة قد تقدم منه بما يغني عن اعادته هاهنا والنصح وصف التوبة
على الاسناد المجازي والنصح صفة التائبين على الحقيقة وهو ان ينصحوا بالتوبة انفسهم
فياتون بها على طريقتها متداركة للمفروضات ماحية للسيئات وذلك ان يتوبوا عن
القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين اشد الاغتمام لارتكابها عازمين على انهم لا
يعودون في قبيح من القبائح الى ان يعود اللبن في الضرع وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
انه سمع اعرابيا يقول اللهم اني استغفرك واتوب اليك فقال يا هذا ان سرعة اللسان بالتوبة
توبة الكذابين وقال التوبة يجمعها ستة خصال اي ستة اشياء الندامة على الماضي واعادة
الفرائض ورد المظالم وان تعزم على ان لا تعود وان تربي نفسك في طاعة الله كما ربيتها
في معصيته وان تذيقها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية وعن شهر بن
حوشب وان لا يعود الى معصية ولو حز بالسيف واحرق بالنار وقال عمر التوبة النصوح ان
يتوب العبد من الذنب فلا يعود اليه وعن ابن السماك ان تنصب الذنب الذي اقللت فيه الحياء
من الله امام عينك وتستعد لمن تنتظره وقيل توبة لا يتاب منها ومعنى هذا ان يتوب توبة
خالصة وعن السدي لا تصح التوبة الا بنصيحة النفس والمومنين لان من صحت توبته احب
ان يكون الناس مثله وقيل نصوحا من نصاحة التوبة خوفا على دينه وترحما لغيره وقيل خالصة
من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع ويجوز ان يراد توبة تنصح الناس اي تدعوهم
الى مثلها لظهور اثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل على مقتضاها
والتوبة فريضة على كل مسلم وهي الرجوع من المعصية الى الطاعة ومن البدعة الى
السنة وتوبة الله على العبد اظهار صلاحه ونعمته عليه بهداية الى الطاعة ويجب
على العبد المبادرة الى التوبة وتجب التوبة من تراخيها لانه معصية وروى ابو قلابة ان الله
تعالى لما خلق ادم عليه السلام وراه ابليس لعنه الله اجوف ثم جرى معه ما جرى في العروق
وقال وعزتك لا ابرح من صدره ما دام فيه الروح فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لا احجب
عنه التوبة ما دام فيه الروح فيتوب العبد من كل ذنب كما قال ابن زيد والتوبة فريضة

١٠٨

من كل ذنب من غير اصرار لان الصغيرة تكون كبيرة من كبائر الذنب باشياء منها الاصرار
والمواظبة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صغيرة مع اصرار ولا كبيرة مع
استغفار وكبيرة واحدة منصرمة لا يتبعها مثلها لو تصور ذلك كان العفو عنها ارجا من صغيرة
يواظب العبد عليها ومثال ذلك قطرات من الماء تقع على حجر على توال فتؤثر فيه وذلك
القدر من الماء لو صب عليه دفعة واحدة لم يؤثر فيه شيئا ولذلك قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم خير الاعمال ادومها وان قل والكثير المنصرم قليل النفع في تنوير القلب
وتطهيره وكذلك القليل من السيئات اذا دام عليه عظم تأثيره في اظلام القلب ومنها
ان يتهاون بستر الله عليه وحلمه عنه وامهاله ولا يدري انما يملي له ليزداد اثما
بالامهال ومنها ان ياتي بالذنب ويظهره بان يذكره بعد ارتكابه او ياتيه بمشهد غيره
فان ذلك جناية على ستر الله الذي اسبله عليه وتحريك لرغبة الشر فيمن سمعه
ذنبه واشهده فعله فهما جنايتان انضمتا الى جنايته فغلظت به قال بعضهم لا تذنب
فان كان ولا بد فلا ترغب غيرك فيه فتذنب ذنبين ولذلك قال تعالى المنافقون والمنافقات
بعضهم من بعض يامرون بالمنكر وينهون عن المعروف قال بعض السلف ما انتهك
المومن من اخيه حرمة اعظم من ان يساعده على معصية ثم يهونها عليه ومنها
ان يكون مذنبا عالما يقتدى به فاذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه قال الله تعالى
ونكتب ما قدموا واثارهم والاثار ما يلحق من الاعمال بعد انقضاء العمر والعامل
في الخير من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة ولا ينقص
من اوزارهم شيئا قال ابن عباس رضي الله عنه ويل للعالم من الاتباع من زلة فيرجع
عنها ويحملها الناس فيذهبون بها في الافاق وقوله كن عبدا صالحا اي كن ايها
المخاطب عبدا كثير الاعمال الصالحات لتجزى عليها بالكرامات وقيل اللذات
من المطعومات والمشروبات وتزويج الحوريات في دار غاية المسرات وهذا منه رضي
الله عنه وصية ونصيحة يجب قبولها المريد وطلبة يعتقد بها وفكرة يفتكر بها فاي
شيء احب للانسان من نفسه وان يعمل النجاة في اخرته من فعل الصالحات في دنياه

المنصرم

Copyright © King Saud University